وقال الحجاج بن يوسف الثقفي : المزاح يوغر[1] صدر الصديق ، وينفِّر الرفيق ، ويبدي السرائر ، ويظهر المعاير[2] ، ويجلب الشتم ويثير الحقد .

❊ ❊ ❊

قصة النواقيس :

لما أسنَّ معاوية بن أبي سفيان[3] أرق ، فكان إذا هوم (نام) أيقظته نواقيس الروم ، فلما أصبح يوماً دخل عليه الناس ، قال : يا معشر العرب ، هل فيكم فتىً يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث ديات أعجِّلها وديتين إذا رجع ؟! فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : تذهب بكتابي إلى ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذَّنت!

قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط .

فقال : لقد كلَّفت صغيراً وآتيت كبيراً ، فكتب له وخرج ، فلما صار على بساط قيصر أذَّن ، فتناجزت البطارقة واخترطوا سيوفهم ، فسبق إليه ملك الروم فجثا عليه ، وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه أن يكفُّوا ، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ، ثم جعل بين يديه ، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجلٌ قد أسنَّ وقد أرق ، وقد آذته

---

(١) يوغر : يحرك الغيظ .

(٢) المعاير : المعايب .

(٣) هو ابن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية بالشام وأحد دهاة العرب الكبار ، كان فصيحاً حليماً وقوراً ، ولد بمكة عام (٥٠ ق .هـ) وأسلم عام الفتح ، ولاه أبو بكر وعمر ، ثم أقرّه عثمان على الديار الشامية ، تنازل له الحسن بن علي عام الجماعة ، غزا جزر البحر المتوسط والقسطنطينية وكثرت فتوحاته ، توفي عام (٦٠ هـ) .

النواقيس ، فأراد أن نقتل هذا على الأذان ، فيقتل من قِبَلَهُ منا ببلاده على النواقيس ، والله ليرجعنَّ إليه بخلاف ما ظنَّ ، فكساه وحمَّله ، فلما رجع إلى معاوية قال : أو قد جئتني سالماً ؟

قال : نعم ، أما من قبلك فلا[1] .

* * *

يا أمير المؤمنين!!

وقف الإمام الأوزاعي أمام الخليفة المنصور ناصحاً فقال :

يا أمير المؤمنين : من كره الحق فقد كره الله ، إن الله هو الحق المبين ، إن الذي ليَّـن قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم ، لقرابتكم من رسول الله ﷺ ، وقد كان بهم رؤوفاً رحيماً ، مواسياً لهم بنفسه في ذات يده ، محموداً عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً ولعوراتهم ساتراً ، لا تغلق عليك دونهم الأبواب ، ولا تقم دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين : إن المُلك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك ، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين : أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك :

﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾

[الكهف : ٤٩] .

---

(١) من عيون الأخبار لابن قتيبة : ١/ ١٩٧ .